**انهيار التعليم انهيار الامة**

**التعليم والصحة خدمة تقدمها الدولة مجاناً للمواطن وليست سلعة للبيع**

**كلمة أ.د سلوان كمال جميل العاني / عضو الامانة العامة لمنصة أريد العلمية الدولية في ملتقى باحثي منصة أريد في دول جنوب شرق أسيا بتاريخ 30/10/2022م**

**................**

**بسم الله الرحمن الرحيم**

**والصلاة على نبينا الامين وعلى آله واصحابه الغُر الميامين**

**السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته**

 على بركة الله ارحب بكم في ملتقى اعضاء منصة أريد الثقافي في **دول جنوب شرق أسيا** الذي يعقد ضمن سلسلة من الملتقيات الثقافية في دول العالم المختلفة، فاهلا وسهلا بكم والشكر للقائمين على هذا الملتقى الإقليمي مع التقدير لجهودهم ، وسوف نخصص كلمتنا هذه لاهمية التعليم في تطور الأمم.

تبلغ مساحة دول جنوب شرق آسيا الـ 2 مليون كم مربع، ويتعدى سكانها نصف مليار نسمة سدس هؤلاء السكان فقط يعيشون في جزيرة جاوة ، التي تقع في اندونيسيا و التي تعتبر من أكثر الأماكن المأهولة بالسكان عالميا، و تضم دول شرق اسيا 11 دولة وهي:

اندونيسيا  والتي تضم اكثر من 17 ألف جزيرة، وبروناي التي يعتمد اقتصادها على الصناعات النفطية، وتايلند تضم  عدد من اجمل الجزر في العالم، وجمهورية تيمور الشرقية وهي من أكبر الجزر الأسيوية، وجمهورية سنغافورة التي يعتبراقتصادها الأسرع نموا على مستوى العالم، وجمهورية الفلبين التي تمتاز بأنها إحدى أهم بلدان العالم جذبا للسياحة، وجمهورية فيتنام التي تمتاز بتاريخ طويل وحضارة مميزة، وكمبوديا التي تطل على خليج تايلاند، وجمهورية لاوس، وماليزيا، وجمهورية ميانمار.

ان اجمل بلد هو الوطن الحر الذي لا يحكمه الجهلة، وقد تقتل قطعة سلاح انساناً اما الافكار الخاطئة فقد تقتل شعوباً.

وقد سبقتنا دول كثيرة في بناء حضارتها فدولة موريشيوس مثلا هي دولة افريقية فقيرة والتعليم والصحة خدمة تقدمها الدولة مجاناً للمواطن وليست سلعة للبيع رغم عدم امتلاكها لموارد طبيعية ولا نفط ولامعادن وانما تعتمد على الانسان وتصدير المنتجات الزراعية والسياحة مورد استثنائي، اما الانفاق العسكري فيأتي في هامش الميزانية والصرف الفعلي على الصحة والتعليم والخدمات.

اما تايوان وهو بلد خال من أي موارد طبيعية وأرضه صخرية ويقع في بحر تتلاطمه العواصف من كل جهة، وبحاجة لاستيراد كل شيء حتى الرمل والحصى، ومع هذا يمتلك رابع أفضل احتياطي مالي في العالم، لأنه اختار الحفر في عقول أبنائه بحثاً عن الإبداع بدلاً من الحفر في الأرض بحثاً عن المعادن، فالبشر هم طاقته الوحيدة غير الناضبة والقابلة للتجديد.
وتنتج 90% من الرقائق الالكترونية المتقدمة على مستوى العالم.

في دراسة لمنظمة مخرجات التعليم في خمسة و ستين دولة في مرحلة الثانوية وجد ان تايوان تتفوق مقارنة بما تحققه كل منها من دخل من مصادرها الطبيعية، وأن هناك علاقة سلبية بين الثراء المتحقق من الموارد الطبيعية، كالنفط، وبين مخرجات التعليم وما يحصل عليه الطلبة من معرفة ومهارات.

وتشير الدراسة بان قياس تقدم اي دولة ليس بما تمتلكه من ذهب وألماس ونفط ، خصوصاً أن هذه الموارد تضعف أي مجتمع في المدى البعيد، إن لم يتم الاهتمام بالتعليم والثقافة، وبما تنفقه على خلق المدرس الناجح، وتربية الاجيال وزرع الجدية فيهم والاهتمام بمقرراتهم.

فمستوى مخرجات التعليم هو الذي سيحدد قوة أمم المستقبل وثراءها وليس الدخل من الموارد الطبيعية، فالمعرفة والمهارات هما عملة المستقبل.

وسنغافورة جزيرة صغيرة بلا موارد طبيعية على الاطلاق، وهى البلد الاصغر مساحة فى جنوب شرق أسيا، وقد حصلت على استقلالها عام 1965، واجهت مشاكل البطالة وأزمة الاسكان والفساد الاداري والركود الاقتصادي، بالاضافة الى ان شعب سنغافورة هو مجموعة غير متجانسة ترجع أصولها الى الصين والهند والجزر المالاوية وغيرها، ولا تملك سوى ميناء واحد ويحيط بها جزر صغيرة للغاية، لذا كان القرار التاريخي لسنغافورة هو الاعتماد على الأنسان، باعتباره رأس المال والثروة الحقيقية التي يمكنها العبور بالبلاد نحو مستقبل اقتصادي مشرق.

وبهدف جذب المستثمرين، كان على سنغافورة أن تخلق بيئة آمنة وخالية من الفساد مع تخفيض للضرائب، ولجعل هذا ممكنًا، وجب على مواطني الدولة أن يتخلوا عن قدر كبير من حريتهم، ويستبدلوا حكومتهم بأخرى أكثر استبدادًا. ان نموذج سنغافورة للتضحية بالحرية من أجل التجارة مثير للجدل ولكن لا يمكن إنكار فعاليته.

مع تدفق أموال الاستثمار الأجنبي، بدأت سنغافورة بالتركيز على تطوير مواردها البشرية إضافةً إلى بنيتها التحتية، وأقامت العديد من المدارس التقنية، ودفعت أموالًا للشركات الدولية لتدريب عمالها غير الماهرين في مجال تكنولوجيا المعلومات، البتروكيميائيات والإلكترونيات.

وبحلول التسعينات من القرن الماضي بدأت بالمشاركة في تصنيع الرقاقات، ودخلت مجال اللوجستيات وأبحاث التكنولوجيا الحيوية وصناعة الدواء وتصميم الرادارات المدمجة وهندسة الطيران والفضاء الجوي.

وتُخصص سنغافورة نسبة 20% من الموازنة السنوية للتعليم، للارتقاء بنظامها التعليمي الذي يعتبر أحد أفضل الأنظمة التعليمية على مستوى العالم، وساهم هذا التطور التعليمي في بناء كفاءات وخبرات ساعدت في عملية البناء الاقتصادي للبلاد، وهي أول دولة في العالم في تعليم الرياضيات والعلوم وأعلى مستوى تعليم في العالم عمومًا.

وتتمتع سنغافورة بأفضل وأعلى أداء في التعليم الدولي، كما أنها تتصدر الترتيب العالمي للتعليم، حيث حقق الطلاب السنغافوريين حوالي نصف الدرجات النهائية في اختبارات البكالوريا الدولية حول العالم وذلك في يناير/ كانون ثاني 2020.

وتشير الاحصائيات الى ان معدل البطالة فيها %1.5 (مقارنة بـ %13 سنة 1960)، ونصيب الفرد في الناتج القومي 72 ألف دولار سنويًا (مقارنة بـ 1,240 دولار سنة 1960)، وتقدر تجارتها الخارجية بتريليون دولار‏(مقارنة بـ 7.3 مليار دولار فقط في 1960)، ونسبة الأمية فيها حاليًا 2% ‏(مقارنة بـ %50 عام 1960) وهذا ما تم تحقيقه في 40 عام، واليوم سنغافورة هى خامس أغنى دولة فى العالم.

اما الهند فحتى العام ١٩٩٨ كانت تعاني من الفقر والامراض والجهل .. وكان حلم شبابها الهجرة الى الخارج الى ان بنت مدينة إلكترونية لصناعة تقنية المعلومات في مدينة بنجالور الفقيرة، ووضعت خطة حقيقية على مدى ١٠ سنوات لتعليم وتأهيل مليون طالب لتكنولوجيا المعلومات، وعملت ٧ معاهد تكنولوجية متطورة أُلحِق بها ٥٠ الف طالب متفوق فى السنة الاولى ، ثم بعثت ٢٤٠٠ طالب متفوق منهم يتعلموا فى امريكا وانجلترا والمانيا .. الذين قاموا بتعليم الاخرين ، وشجعت الشركات الاجنبية للاستثمار بمنحهم الارض مجانا واعفائهم من الضرائب بشرط تشغيل الف هندي فى كل شركة. نجح المشروع وانتقلت اكبر 103 شركة تكنولوجية عالمية الى الهند، وتعلم الهنود منهم وانشئو حوالي 1500 شركة هندية خالصة لعمل البرامج الحاسوبية وبرامج الاتصال، وبعدها قررت الحكومة الهندية إنشاء 3 مدن الكترونية فى مدن هندية اخرى.

وتصدر الآن مدينة بنجالور وحدها برامج وخدمات تكنولوجية بـ ٣٣ مليار دولار، ورغم تضاعف عدد سكانها ٤ مرات فى اخر ٢٠ سنة من ٣ مليون الى ١١ مليون نسمة الا ان متوسط دخل الفرد ازداد فيها بـ ١١ مرة. واليوم وصلت صادرات الهند من برامج الكمبيوتر الـ 156 مليار دولار سنويا .. ويتم حاليا تدريب4 ملايين طالب هندي في 1832 مؤسسة تعليمية متخصصة في التكنولوجيا الحديثة من تقنيات البلازما والنانو والخلايا الجذعية والمجالات الحديثة فى العالم لتلحق بركب التطور.

الزملاء الاعزاء

والدرس الذي نستفاد منه للنهوض هو التعليم الذي تبنته المانيا واليابان فى الستينات والصين فى السبعينيات والنمور الاسيوية فى الثمانيات و تركيا والبرازيل والهند سنة ٢٠٠٠ وتبعتهم اثيوبيا ورواندا فى ٢٠١٠، وجميع هذه الدول نهضت فى اقل من ١٠ سنوات من اصلاح التعليم ، ولانهم اعتبروا المعلم ضمير والتلميذ أمانة فاذا ضاع الضمير ضاعت الأمانة.

وبناءً على ما تقدم فان الدروس المستفادة من تجارب هذه الدول هي هجرة الملايين من الكفاءات العربية للخارج منذ منتصف القرن الماضي واستفادت من عقولهم الدول التى هاجروا إليها، وخسرنا خبرات فى التكنولوجيا المتطورة والصناعات الدقيقة والإلكترونيات وتخصصات استراتيجية علمية وهندسية وطبية واقتصادية. وهي خسارة لمجالات التنمية، وليس سهلا إيجاد البديل لهؤلاء الذين هاجروا بإمكاناتهم العالية، مما يزيد فى الفجوة المعرفية والحضارية و يبقي بلداننا العربية ذات اقتصادٍ متواضع.

فاذا اردنا ان نكون أمة محترمة يجب ان نوقر العِلم والعلماء ونوفر البيئة الآمنة لهم والمناسبة لاستمرار عطائهم العلمي والبحثي، وزيادة ميزانيات البحث العلمي والتعليم العالي في بلداننا، والاستفادة من خبرات تلك العقول المهاجرة في الربط بين نشاطهم العِلمي والتكنولوجي مع احتياجات المجتمع، وايجاد حلول ذكية للتحديات التى تواجه الإنسان سواء في مجال التعليم، والاقتصاد، والأمن، والتكنولوجيا ، والصناعات الالكترونية وتقنية المعلومات.

وهذا يتطلب استضافة هؤلاء العلماء الى بلدانهم واعتبارهم سفراء ومن كبار الشخصيات للاطلاع على المشاريع البحثية والخطط التدريسية في جامعاتهم الوطنية، واقتراح برامج جديدة ومراكز حديثة مقابل عوائد مادية عالية، وتخصيص كراسي بحثية لهم بالجامعة ترتبط بالمؤسسات التطبيقية ليقدموا افكار بنّاءة ويخلقوا بيئة علمية ومبتكرة تكون منافسة لدول الغرب. وعند ذاك يمكن ان نقول اننا بدأنا بالخطوة الاولى لحل مشكلات العلماء الذين يحتاجهم الوطن.

لقد اوضحت جائحة كورونا ( كوفيد – 19 ) اهمية وجود العلماء والخبراء واصحاب التجربة في ظروف الازمات، ولذلك نقول بانه آن الاوان لإعادة ترتيب المجتمع ليكون المعلم قبل اللاعب، والباحث قبل الممثل، والطبيب قبل المطرب، والعالِم قبل الراقصة.

وقد كُتبت العبارة التالية في جامعة هارفرد : (ألم الدراسة لحظة وتنتهي لكن إهمالها ألم يستمر مدى الحياة)، والتي تذكرنا بما قاله الامام الشافعي قبل 1200 عام ( من لم يذق مرّ التعلم ساعة تجرّع ذُل الجهل طول حياته).

ونختم برسالة معبرة لاحد الاساتذة في جامعة بجنوب افريقيا الى طلبته وهذا نصها:

( تدمير اي أمة لايحتاج الى قنابل نووية أو صواريخ بعيدة المدى ولكن يحتاج الى تخفيض نوعية التعليم والسماح للطلبة بالغش فيموت المريض على يد طبيب نجح بالغش وتنهار البيوت على يد مهندس نجح بالغش ، ونخسر الاموال على يد محاسب نجح بالغش ، ويضيع العدل على يد قاضي نجح بالغش، ويتفشى الجهل في عقول الابناء على يد معلم نجح بالغش. .ان انهيار التعليم هو انهيار الأمة).

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته